رفض عيون الطفلة . قال : هـذه الطفلة .. من أين جاءت بالذاكرة ؟ ومن علمها أن لها وطنا .. من علمها !.

صراع بين ذاكرتين ..

الذاكرة اليهودية تشكل احدى الدعاوي الاساسية لادعاء الحق على فلسطين . ولكنها عاجزة عن الاعتراف بحق الاخرين في التمتع بحاسة الذكريات . والاسرائيلي يرفض التعايش مع الذاكرة الفلسطينية ، ويرفض الاعتراف بهذه الذاكرة . على الرغم من أن أحد شعاراتهم القومية شعار « لن ننسى » . ومن قضايا التعليم الاسرائيلي الاساسية والاولى في سلم الاولويات الصهيونية هي ابقاء الوعي العام في حالة من التذكر الدائم كنقطة استقطاب للمشاعر الوطنية ، كانوا يقولون دائما : « لتنسني يميني اذا نسيتك يا اورشليم » . وبعد الكارثة التي تعرض لها يهود اوروبا على أيدي النازية أصبح الشعار الاساسي عندهم : « لن ننسى .. ولن نغفر » . وفي كل عام ، يحيي الاسرائيليون ذكرى ضحاياهم . تتعطل كل مرافق الحياة في اسرائيل . وفي اسرائيل ، متاحف خاصة وتعليم خاص وبرامج خاصة لتذكير الجيل الجديد بالكارثة . وفي كتلب « الاسرائيليون » لعزريا ايلون فصل خاص عن هذا الموضوع ، يقول فيه : « ان احياء ذكرى الكارثة تقر ، في نظر الجيل الصاعد ، احدى فرضيات الصهيونية الكلاسيكية ، وهي أن اليهودي بدون وطن سيبقى خرقة انسان وفريسة للحيوانات الشريرة » . ويعترف الكاتب بأن السياسة الاسرائيلية تستغل الكارثة لاغراض ابتزازية .

ان الثقافة الاسرائيلية تلح على اشباع المواطنين بذكريات كارثة أوربا لتعميق احساسهم بغربتهم وعزلتهم عن العالم . ويشكل هذا الاحساس عنصرا جوهريا في بنية النفسية والمزاج الاسرائيليين . ومن هنا ، تكون تنمية الذاكرة الاسرائيلية مكرسة لغرض سياسي محدد : الالحاح على الاسرائيلي بأنه دائم التعرض للابادة ، وان العودة الى « ارض اسرائيل » والصمود فيها هو الامان التاريخي والسياسي الوحيد ، ولتعميق الدعوى الصهيونية على فلسطين .

ليس من واجب اليهودي ، وحده ، ألا ينسى مذابح النازية . كل الناس الذين لم تمت ضمائرهم ، وكل أصدقاء الحرية يشاركون ضحايا النازية احياء الذكرى واستخلاص العبرة . وخاصة عندما يتكرر التشابه التاريخي بين النازية وبين حركات عنصرية في عالمنا اليوم . ومهما بلغت درجة العداء الاسرائيلي — العربي ، فليس من حق اي عربي أن يشعر بأن عدو عدوه صديقه ، لان النازية عدوة كل الشعوب .

هذا شيء .

ولكن تمادي اسرائيل في تفريغ احقادها على شعب اخر .. هو شيء اخر . فالجريمة لا تعوض بالجريمة . وان يطالب الفلسطينيون وسائر العرب بدفع ثمن جرائم لم يرتكبوها لا يمكن ان يكون تعويضا عن الكارثة . ان الاسرائيلي يباهي الدنيا بأنه رائد اللجوء والغربة في التاريخ ، حتى أصبحت هذه الصفة ميزة وامتيازا . ولكن من يملك حاسة اللجوء والغربة أصبح عاجزا كل العجز عن ادراك هذه الحاسة لدى الاخرين . وليس من القسوة ان نقول ان سلوك الاسرائيليين الصهيونيين ضد شعب فلسطين الاصلي هو تطبيق متشابه للممارسة النازية ضد اليهود انفسهم . وليس من القسوة ايضا أن نقول ان سلوك الاسرائيليين والحركة الصهيونية في علاقاتها الدولية يوحي بملاحظة انها تتاجر بدم الضحايا اليهودية . بالمال والعتاد اللذين تأخذهما ثمنا لضحايا النازية تقتل شعبا اخر . ومن هنا ، ليس من القسوة ايضا القول ان الطريقة التي تحيي بها اسرائيل ذكرى ضحايا النازية توحي بملاحظة النفاق والابتزاز ، وبأنها مدينة لقاتل ابناء شعبها